# ١ ـ محمَّد ﷺ
# ٥٧٠ م ـ ٦٣٢ م

إن اختيار المؤلف لمحمد ﷺ ليكون في رأس القائمة التي تضم الأشخاص الذين كان لهم أعظم تأثير عالمي في مختلف المجالات ، إن هذا الاختيار ربما أدهش كثيراً من القراء إلى حد أنه قد يثير بعض التساؤلات ، ولكن في اعتقاد المؤلف أن محمداً ﷺ كان الرجل الوحيد في التاريخ الذي نجح بشكل أسمى وأبرز في كلا المستويين الديني والدنيوي .

لقد أسس محمد ﷺ ونشر أحد أعظم الأديان في العالم ، وأصبح أحد الزعماء العالميين السياسيين العظام . ففي هذه الأيام وبعد مرور ثلاثة عشر قرناً تقريباً على وفاته ، فإن تأثيره لا يزال قوياً وعارماً .

إن أكثر الاشخاص الذين سيقابلهم القارىء في هذا الكتاب كان لهم ميزات فائقة بكونهم قد ولدوا ودرجوا في مراكز حضارية ؛ وترعرعوا في أحضان أمم ذات سمات ثقافية وسياسية واجتماعية بالغة الأهمية .

أما محمد ﷺ فقد ولد عام ٥٧٠ م في مدينة مكة جنوبي شبه الجزيرة العربية التي كانت في ذلك الوقت منطقة نائية عن الحضارة وبعيدة عن المراكز الحيوية ، سواء كانت تجارية أو فنية أو علمية في العالم . ولما كان قد ذاق مرارة اليتم وهو في السادسة من العمر ؛ فإنه قد ربي في محيط

متواضع وعرف عنه أنه كان أميّاً . وقد تحسنت حالته الاقتصادية عندما تزوج وهو في الخامسة والعشرين من أرملة ثرية .

لقد كان معظم العرب في ذلك الزمن وثنيين يؤمنون بتعدد الآلهة ، ولكن محمداً ﷺ بدأ ينادي بوجود إلـه واحد قاهر قادر يسيطر على الكون بأسره . وعندما بلغ الأربعين جاءه الوحي الذي أخبره أن الله قد اختاره لنشر الدين القويم .

ولمدة ثلاث سنوات كان محمد ﷺ يدعو إلى الإسلام أصدقاءه المقربين وحوالي عام ٦١٣ م بدأ بالدعوة العلنية .

وحالما بدأ اتباعه يزدادون ، شعرت قبائل قريش بالخطر ، وبدأت تعتبره شخصاً مهدداً لنفوذها ، مما اضطره للهجرة في عام ٦٢٢ م من مكة الى المدينة ( وهي على بعد ٢٠٠ ميل شمالي مكة ) حيث رحب به أهلها وقدموا له الاجلال والتأييد وأصبح له نفوذ سياسي لا بأس به .

كانت الهجرة هي نقطة الانطلاق بالنسبة لحياة محمد ﷺ فقد كان لديه في مكة أتباع قلائل ، أما في المدينة فقد كثر أتباعه وسرعان ما حصل على نفوذ جعله الحاكم المطلق هناك[1] . وفي خلال السنوات القليلة التي تلت ، وبينما كانت سلطة محمد ﷺ تنمو بسرعة متزايدة ، حصلت سلسلة من المعارك بين مكة والمدينة انتهت بانتصار محمد ﷺ الساحق وفتحه مكة ورجوعه اليها في عام ٦٣٠ م .

وقد شهدت السنتان والنصف اللتان بقيتا له وهو على قيد الحياة دخول الاعداد الضخمة من القبائل العربية الى الدين الجديد .

وعندما توفي محمد ﷺ في عام ٦٣٢ م كان هو الحاكم الفعلي لجميع شبه جزيرة العرب الجنوبية .

---

(١) النبي لا يكون حاكماً مطلقاً . وإنما يعمل بوحي الله عز وجل وكان يستشير أصحابه ويقول لهم أشيروا علي أيها القوم . ويكرر قوله أنا بن امرأة كانت تأكل القديد في مكة .

وكان للقبائل العربية في الجزيرة شهرة بتمرس فنون القتال والحروب ، ولكن عددهم كان ضئيلاً ؛ وكانوا مبتلين بالتفرقة والحروب القبلية الضروس ، ولذا لم يكن من السهل أن يكونوا أنداداً للجيوش الجرارة التي كانت تمتلكها الممالك في المناطق الزراعية المستقرة في الشمال . ومع هذا فإنهم عندما توحدوا تحت راية محمد ﷺ لأول مرة في التاريخ وارتشفوا تعاليم الدين الجديد ، الذي زادهم حماساً وإيماناً بالإله الواحد ، فإن هذه الجيوش العربية الصغيرة قامت بسلسلة من فتوحات ليس لها مثيل في تاريخ البشرية . وكان يقع على تخوم بلاد العرب الشمالية الأمبراطورية الفارسية الساسانية الجديدة ، وإلى الشمال الغربي كانت تقع الامبراطورية البيزنطية أو الامبراطورية الرومانية الشرقية وعاصمتها القسطنطينية . وإذا اعتبرنا القيمة العددية فإن العرب لم يكونوا بأية حال أندادا لخصومهم ولكن هؤلاء العرب الملهمون استطاعوا وبسرعة أن يفتحوا كل منطقة ما بين النهرين وفلسطين وسوريا . وفي عام ٦٤٢ م استطاعوا أن ينتزعوا مصر من حكم الامبراطورية البيزنطية ، بينما سحقت جيوشهم في معارك حاسمة الجيوش الفارسية في القادسية ونينوى عام ٦٤٢ م .

ولكن حتى مع هذه الانتصارات الضخمة التي تمت على أيدي وتحت قيادة خلفاء محمد ﷺ وأصحابه المخلصين ، أبي بكر وعمر بن الخطاب فإن هذه الانتصارات لم تكن خاتمة المد العربي . ففي عام ٧١١ م كانت الجيوش العربية قد اجتاحت وبشكل كامل شمالي أفريقية ووصلت إلى المحيط الأطلسي وهنالك اتجهوا شمالاً ، وبعد أن عبروا مضيق جبل طارق تغلبوا على مملكة القوط الغربيين في أسبانيا .

ولبرهة من الزمن كان يبدو وكأن العرب سوف يجتاحون جميع أوربا المسيحية . ولكن وفي عام ٧٣٢ م وفي معركة تورز إنكسر الجيش الإسلامي الذي كان قد تقدم ووصل إلى أواسط فرنسا على يد جيش الفرنجة وبالرغم من ذلك ، فإنه وفي قرن شحيح من القتال استطاعت

هـذه القبائـل البدويـة التي كانت تلهمها كلمات الـرسول ﷺ أن تـظفـر بتأسيس أمبراطورية تمتد من حدود الهنـد حتى المحيط الأطلسي وهي أعظم امبراطورية شهدها العالم حتى ذلك الوقت .

وحيثما كانت تصل الفتوحات كان يتبعها اعتناق عدد كبير من الناس للدين الجديد على أوسع نطاق .

ولكن لم تكن كل هذه الفتوحات لتثبت مـع الزمن فـإن الفرس مـع أنهم ظلوا مخلصـين للدين الجـديـد ، إلا أنهم استعـادوا استقـلالهم عن العـرب . أما في اسبـانيا فـإن سبعة قـرون ونيف مضت في حروب انتهت باستعادة المسيحيـين لجميع أرجـاء شبه الجـزيرة ، ولكن منـطقة الـرافدين ومصر وهما مهدا الحضارة القديمة بقيتا عربيتين كما بقي السـاحل الشمـالي الأفريقي بأكمله عربياً، وقد استمر الدين الجديد بالانتشار في القرون التالية إلى ما وراء تخوم الفتوحات الاسلامية فهنـالك في الـوقت الحاضـر عشرات من الملايين من معتنقي الدين الإسلامي في آسيا الوسـطى وحتى أكثر منهم في الباكستان وشمال الهند واندونيسيا .

وفي اندونيسيا كان الإيمان الجديد عاملاً من عوامل الوحدة . وأما في شبـه القارة الهنـدية فـإن النزاع المستمـر بين المسلمـين والهندوس هـو أحد العثرات في سبيل الوحدة .

إذن كيف يمكننـا أن نقيم أثـر محمـد ﷺ الكـلي عـلى التـاريـخ البشري ؟ وكجميع الأديان فإن الإسلام له نفوذ هائل على اتباعه وحياتهم . ولهذا السبب فإن القارىء سوف يجد اسماء مؤسسي معظم الأديان في هـذا الكتاب . وبما أن هنالك من المسيحيين ضعف عدد المسلمين في العالم فـإنه من الطبيعي أن يبدو غريباً تصنيف محمـد ﷺ في مرتبـة أعلى من يسـوع المسيـح . ولكن هنالـك سببين رئيسيـين لذلـك القرار ، أولهـما أن محمـداً ﷺ لعب دوراً أكثر أهمية في تطوير الإسلام من الدور الذي لعبه المسيح في تـطوير المسيحيـة ، مـع أن المسيـح كـان مسؤولاً عن المبـادىء الأدبيـة

والأخلاقية للديانة المسيحية ( في النواحي التي تختلف بها هذه المبادىء عن الديانة اليهودية ) إلا أن القديس بولس كان المطور الرئيسي للاهوت المسيحي وكان الهادي الرئيسي للمعتقدات المسيحية والمؤلف لجزء كبير من العهد الجديد في التوراة . ثانياً : أن محمداً ﷺ كان مسؤولاً عن العقيدة الإسلامية ومبادئها الرئيسية الأدبية والاخلاقية . وبالاضافة إلى ذلك فقد لعب دوراً قيادياً ، في الهدي للدين الجديد وتأسيس الفروض الدينية في الإسلام وهو الذي أنزل عليه القرآن ( الكتاب الاسلامي المقدس ) وهو مجموعة من الآيات ذات البصيرة النافذة التي أوحيت اليه مباشرة من قبل الله . ومعظم هذه الأقوال دونت وسجلت خلال حياة محمد ﷺ ثم إنها جمعت بشكل رسمي موثوق بعد وفاته بفترة وجيزة . ولذلك فإن القرآن يمثل الأفكار والتعاليم التي أوحاها الله للرسول ﷺ ، ولكن لم يبق أي أثر يشبه هذا من آثار المسيح . وبما أن القرآن له تأثير على المسلمين يشبه تأثير الكتاب المقدس المسيحي على المسيحيين ، فإن نفوذ محمد ﷺ من خلال القرآن أصبح ضخماً جداً وهائلاً . ومن المحتمل أن تأثير محمد ﷺ على الإسلام أكبر بكثير من التأثير المزدوج للمسيح والقديس بولس على المسيحية ، ولهذا فإنه من وجهة النظر الدينية الصرفة يبدو بأن محمداً ﷺ كان له تأثير على البشرية عبر التاريخ كما كان للمسيح .

وفوق ذلك فإن محمداً ﷺ يختلف عن المسيح بأنه كان زعيماً دنيوياً فضلاً عن أنه زعيم ديني ، وفي الحقيقة إذا أخذنا بعين الاعتبار القوى الدافعة وراء الفتوحات الاسلامية ، فإن محمداً ﷺ يصبح أعظم قائد سياسي على مدى الأجيال .

هنالك كثير من الحوادث التاريخية الهامة من المحتمل أن يقول المرء أنها حتمية الحدوث وكانت ستحدث رغم عدم وجود الزعيم الذي قادها ، وعلى سبيل المثال فإن المستعمرات الاميركية في أميركا الجنوبية كانت ستنال استقلالها حتى ولو لم يعش سيمون بوليفار ، ولكن هذا لا ينطبق على

الفتوحات العربية وذلك لأنه لم يحدث أي شيء مشابه لهذا قبل محمد ﷺ وليس هنالك من سبب يحدونا للاعتقاد أنها كانت سوف تحرز بدونه . فالفتوحات المشابهة في تاريخ البشرية هي فتوحات المغول في القرن الثالث عشر التي كانت ناتجة بشكل أساسي عن شخصية جنكيز خان ، إلا أن هذه الفتوحات مع أنها كانت أوسع من الفتوحات العربية ، إلا أنها لم تكن دائمة وراسخة كتلك ، وفي الوقت الحاضر فإن المناطق التي يحتلها المغول هي فقط تلك المناطق التي كانوا يشغلونها قبل جنكيز خان .

وهنا يختلف الحال تماماً عنه بالنسبة للفتوحات العربية ، فابتداء من العراق حتى مراكش تمتد سلسلة كاملة من الأمم العربية يوحدها ليس فقط الدين الاسلامي ولكن أيضاً اللغة العربية والتاريخ والثقافة المشتركة ، وإن مركز القرآن في الدين الاسلامي وكونه مكتوباً باللغة العربية ، كان له أكبر الأثر في منع تفتت اللغة العربية الى لهجات لا يفهم بعضها بعضاً ، مما كان حدوثه ممكناً جداً لولا وجود القرآن خلال الثلاثة عشر قرناً الماضية . وإن هناك اختلافات وانقسامات بين تلك الدول العربية موجودة ولها اعتباراتها الخاصة ولكن هذه الانقسامات الجزئية يجب ألا تحجب عنا العناصر الهامة للوحدة التي استمرت في الوجود عبر السنين . وعلى سبيل المثال فإنه لا إيران ولا أندونيسيا وكلاهما من الدول المنتجة للبترول وكلاهما دولتان اسلاميتان ، قد اشتركتا وانضمتا إلى الحظر الذي فرض على البترول في شتاء عام ١٩٧٣ ـ ١٩٧٤ وأنه ليس من عامل الصدفة أن نرى جميع الدول العربية والدول العربية فقط هي التي اشتركت في ذلك الحظر .

ومن هذا نرى أن الفتوحات العربية التي تمت في القرن السابع استمرت لتلعب دوراً هاماً في تاريخ البشرية حتى يومنا هذا ، وأن هذا الاتحاد الفريد الذي لا نظير له للتأثير الديني والدنيوي معاً مما يخول محمداً ﷺ أن يعتبر اعظم شخصية مفردة ذات تأثير في تاريخ البشرية .

# (٢) اسحاق نيوتن
# ISAAC NEWTON

يعتبر اسحق نيوتن أعظم عالم ذو تـأثير عـاش على هـذه الأرض وقد ولد في نفس اليوم الذي مات فيه غاليلو ، وبعد وفاة والده .

وقـد أظهر في طفـولته ميـلاً للاعمـال الميكـانيكيـة وكـان حـاذقـاً في استعمـال يديـه . ومع أنـه كان طفـلاً لامعاً ، إلا أنـه لم يكن يثـير انتبـاه أساتذته ، وعندما وصل إلى سن المراهقة اخرجته والدته من المـدرسة ، إذ أنها كـانت تأمـل أن يصبح مـزارعاً نـاجحـاً ولكن لحسن الحظ اقتنعت أن مواهبه الرئيسية لم تكن لتنمو في الزراعة ولذلـك فقد دخـل وهو في الثـامنة عشرة إلى جامعة كمبردج حيث استـوعب بسرعـة ما كـان معروفـاً في ذلك الـوقت من العلوم الطبيعيـة والريـاضيـات وبعـد ذلـك انتقـل إلى البحث العلمي الخـاص لنفسـه ، وفيـما كـان بـين الحـاديـة والعشـرين والسـابعـة والعشرين وضع أسس بعض النظريات العلمية التي أحدثت ثورة في العالم فيما بعد .

وكان أول اكتشافاته العلمية التي نشرت له هو العمل الذي أحـدث هزة في عالم العلوم وهي طبيعة الضوء، ففي سلسلة من التجارب المحكمة اكتشـف نيوتن أن الضوء الأبيض العادي هو مزيج من جميـع ألوان قـوس القزح ، ثم صنع أول منظار فلكي عاكس بعـد أن تبحر في دراسـة الضوء

وهذا المنظار الفلكي لا يزال يستعمل في المراصد الفلكية حتى يومنا هذا .

ولكن أعظم منجزاته العلمية كان اختراعه لعلم التفاضل والتكامل في الرياضيات ولو لم يخترع نيوتن غير هذا العلم لخلّوله هذا فقط أن يحتل مكان الصدارة في قائمتنا هذه .

وفي الحقيقة أن أعظم اكتشافات نيوتن هو في ميدان الميكانيك وهو العلم الذي يعالج حركات الاجسام ، فقد كان غاليلو قد اكتشف أول قوانين الحركة الذي يصف حركة الأجسام وهي غير معرّضة لأي قوى خارجية ولكن عملياً طبعاً ، إن جميع الأجسام خاضعة لقوى خارجية وأن أهم سؤال في علم الميكانيك هو أنه كيف تتحرك الأجسام تحت مثل هذه الظروف وقد حل نيوتن هذه المشكلة في قانونه الثاني الشهير للحركة الذي يمكن أن يعتبر بحق أعظم قانون أساسي في الفيزياء الكلاسيكية ، فالقانون الثاني هذا ( الذي يوصف رياضياً بالمعادلة التالية ) :

ق = ك × تع : ق = القوة . تع = التسارع . ك = الكتلة .

ينص على أن تسارع الجسم ( أي حالة تغير سرعة الجسم ) يساوي القوة المؤثرة على الجسم مقسومة على كتلة الجسم . وبعد ذلك أضاف نيوتن على هذين القانونين قانونه الثالث الذي ينص على أن لكل فعل رد فعل مساوٍ له في القدرة ومعاكس له في الاتجاه ، ثم أضاف قانونه الرابع وهو قانون الجذب العام الذي ينص على أن كل جسمين يجذب احدهما الآخر بقوة تساوي حاصل ضرب كتلتيهما مقسومة على مربع المسافة بينهما . .

وقد طبقت قوانين نيوتن على المسائل العلمية والميكانيكية وفي أثناء حياته كان أعظم تطبيق درامي لقوانينه هو في مجال علم الفلك . ففي هذا الميدان نرى نيوتن في كتابه ( المبادىء الرياضية للفلسفة الطبيعية ) يقدم قانون الجاذبية وقوانين الحركة ويرينا كيف أن هذه القوانين يمكن أن تتنبأ بدقة عن حركة الكواكب حول الشمس لذا يعتبر نيوتن أعظم عالم فلكي أيضاً .

والآن ربما يتساءل القارىء لماذا صنف المؤلف بدرجة أعلى من كثير من الشخصيات السياسية كالاسكندر الكبير أو جورج واشنطن وقدمناه على شخصيات دينية كيسوع المسيح وجوتاما بوذا .

وإن وجهة نظره هي أنه رغم أن التغييرات السياسية لها أهميتها إلا أن معظم سكان العالم ظلوا يعيشون حوالي ٥٠٠ عام بعد الاسكندر كما عاش أجدادهم طيلة خمسة قرون قبله ، وكذلك بالنسبة للنشاط الانساني فمعظم الكائنات البشرية كانت وظلت تعيش بنفس الطريقة في عام ١٥٠٠ م كما كانت تعيش في عام ١٥٠٠ ق . م ولكن إذا نظرنا إلى الخمسة قرون الماضية التي بدأت بها العلوم الحديثة بالظهور نرى أن الحياة اليومية لمعظم الكائنات البشرية قد حصلت لها ثورة ، فنحن قد اختلف لباسنا وطعامنا وعملنا في الأعمال المختلفة والفراغ أصبحنا نقضيه بشكل يختلف عما كان الناس يقضون به فراغهم عام ١٥٠٠ م . فالاكتشافات العلمية لم تعمل ثورة فقط في التكنولوجيا والاقتصاد إنما أثرت كلياً في السياسة والتفكير الديني والفن والفلسفة ؛ وهذا هو السبب الذي يحدونا لوضع أسماء كثير من العلماء والمخترعين في هذه القائمة وأن نيوتن لا يعتبر ألمع جميع العلماء فحسب بل يعتبر في طليعة الاشخاص الذين أثّروا على تطور النظريات العلمية ولهذا فهو يستحق بجدارة مركز القمة أو ما يقرب من القمة في أي قائمة للاشخاص الذين أثّروا على تاريخ البشرية .

# (٣) يسوع المسيح عليه السلام
# JESUS CHRIST
## ٦ ق . م - ٣٠ م

إن تأثير يسوع المسيح على تاريخ البشرية واضح ، فالقليل من الناس يعارضون في وضعه قرب القمة في هذه القائمة ولكن السؤال المطروح هو أنه لماذا لم نعتبر المسيح هو القمة ؟

لاشك أن المسيح هو الذي صاغ الأفكار الأخلاقية السامية في الدين المسيحي فضلاً عن النظرة الشاملة الأساسية والأفكار التي تخص السلوك البشري ولكن علم اللاهوت المسيحي مدين للقديس بولس الذي سعى لتشكيله ، فالمسيح قدم رسالة روحية ولكن القديس بولس أضاف إليها قسماً كبيراً مما يؤلف العهد الجديد في الكتاب المقدس ، وكان هو الداعية والقوة المؤثرة في نشر الدين المسيحي خلال القرن الأول الميلادي .

لقد كان المسيح صغير السن عندما توفي ( بعكس بوذا ومحمد ) وترك خلفه عدداً محدوداً من الحواريين الذين انكمشوا على أنفسهم في السنوات الأولى التي تلت وفاته فشكلوا فرقة يهودية صغيرة ولكن بفضل كتابات القديس بولس ومجهوداته فهو لم يكن يكل ولا يمل في الدعوة إلى المسيحية مما جعل تلك الفرقة تتحول الى الحركة التي وصلت إلى اليهود وإلى غير اليهود والتي بمرور الزمن نمت لتصبح ديناً من أعظم الأديان في العالم .

كان المسيح يمتلك ولا شك أفكاراً أخلاقية سامية وأصيلة كقوله : « لقد قيل لكم أحبوا جيرانكم واكرهوا أعداءكم » ولكني أقول لكم :

« أحبوا أعداءكم ، باركوا لاعنيكم ، افعلوا الخير مع الذين يكرهونكم وصلّوا لأجل أولئك الذين يستغلونكم ويضطهدونكم » .

ثم قوله : « لا تقاوم الشر بل كل من ضربك على خدك الأيمن أدر له الأيسر » .

ومع أن هذه الأفكار هي من الأفكار المثالية العالية التي عرفها البشر ، إلا أنه لم يتبعها أحد ولو تبعها جميع الناس لما ترددنا عن وضع يسوع المسيح في المرتبة الأولى .

إن هذه الأفكار ليست متبعة بشكل واسع عملياً وحتى أنها غير مقبولة أصلاً . فالمسيحيون يعتقدون أن هذه المبادىء هي مبادىء مثالية لا تصلح لقيادة سكان هذه الأرض التي نعيش عليها . فنحن لا نمارسها ولا ننتظر من أي إنسان أن يمارسها ولا نعلّم أطفالنا أن يمارسوها ، فالتعاليم المميزة للمسيح تبقى تعاليم آسرة ولكنها أساسياً اقتراحات غير مجربة .

إن قصة حياة يسوع المسيح اصبحت معروفة لمعظم القراء فلا حاجة لاعادتها ولكن هنالك بعض النقاط تستحق الذكر . أولها أن معظم المعلومات التي نعرفها عن يسوع المسيح هي غير مؤكدة وأن سنة ميلاده أيضاً غير معروفة وحتى سنة وفاته ، التي كان من الواجب أن يعرفها اتباعه وتلاميذه ، إن هذه السنة ليست معروفة بشكل محدد وكذلك اليوم أيضاً . وذلك لأن المسيح لم يترك آثاراً كتابية وأن جميع معلوماتنا عن حياته تأتي من أوصافه في العهد الجديد .

ولسوء الحظ أن الأناجيل تناقض بعضها بعضاً أحياناً في نقاط متعددة ، فهنالك ماتيوس ولوقا يعطيان نصوصاً مختلفة عن كلمات المسيح الأخيرة .

لم يكن للمسيح أي نفوذ أو تأثير على التطورات السياسية في عهده أو في القرن التالي ، ولكن المسيح يبدو أثره كلياً في الحياة الأخلاقية والحياة الروحية كزعيم روحي وأخلاقي .

# (٤) بوذا
# BUDDHA
## ٨٤٣ ق . م - ٥٦٣ ق . م

غـوتامـا بوذا ( واسمـه الحقيقي هو الأمـير سيدهـارثا ) هـو مؤسس الـديانـة البوذية وهي إحدى الديانات العالمية العظيمة وهو ابن ملك كـان يحكم مدينة في شمال الهند قرب حدود نيبال . وقد تـزوج من ابنة عم لـه وهـو في السـادسـة عشـرة وكـانت زوجتـه في نفس عمـره وقـد ربي الأمـير سيدهارثا في قصر كله رفاهية ولكنـه لم يكن راضياً عن وضعـه المترف لأنـه لاحظ أن معـظم البشر كـانوا من الفقـراء الـذين يقـاسـون مـرارة العيش والعـوز ، وقد لاحظ أن السعـادة لم تكن من نصيب الأغنياء أيضـاً إذ كان الفشل يحوطهم وقـد لاحظ أن المرض لابـد أن يصيب الانسان ومن ثم لا بد لنا من الاستسلام صاغرين للموت . وقد فكر سيدهارثـا بأنـه يجب أن يكون هنالك في الحياة شيء آخر غير الملذات الزائلة التي كانت سرعان مـا يمحوها الألم والموت .

ولما بلغ التاسعة والعشرين وعند ولادة ابنه الأول قرر غوتاما أن ينبذ الحيـاة التي يعيشها ويكـرس نفسه بكـل جـوارحـه للبحث عن الحقيقـة ، فرحل عن قصره تاركاً وراءه زوجته وطفله الرضيع وكل حطام الدنيا الذي يملكـه وأصبح جـوالاً مفلسـاً . ثم انقـطع للدراسـة عنـد بعض الـرجـال الصالحين في المـدينة ولكنـه وجد بعـد حين أن تعـاليمهم وحلولهم لمشاكـل

الأوضاع الإنسانية كانت حلولاً غير مرضية . وقد كان الاعتقاد السائد في ذلك الوقت أن الزهد والتقشف هما الطريق الوحيد للحكمة الحقة .

ولذلك فقد حاول غوتاما أن يصبح زاهداً واشغل نفسه لعدة سنوات في الصيام القاسي وإماتة الجسم بكبح الشهوات أو بالتعذيب الذاتي ، ولكنه أدرك بالتالي أن تعذيب الجسم ما هو إلا قتل وإضعاف للعقل دون أن يقرّبه ولو حثيثاً إلى الحقيقة والحكمة ولذلك عاود الأكل الطبيعي ونبذ الزهد والتقشف .

وبينما كان في وحدته يحاول النفوذ الى الوجود الإنساني ، وهو جالس تحت شجرة تين فارغة فإذا ببصيرته تنفذ إلى أعماق اللغز المحيّر وقد قضى الليل بطوله في تأمل عميق وعندما بزغ الفجر عرف أنه قد وجد الحل وأنه قد أصبح الآن « بوذا » ( أي الرجل المتنوّر ) .

ومن الممكن تلخيص تعاليم بوذا بما يدعوه البوذيون ( الحقائق النبيلة الأربع ) وهي أولاً : أن الحياة الإنسانية هي حياة خالية من السعادة فعلاً . ثانياً : وأن السبب لعدم السعادة هذه هو الأنانية الإنسانية والشهوات . ثالثاً : أن هذه الانانية والشهوات يمكن أن تبطل عندما نتخلص من الشهوات والرغبات الجامحة ويدعون هذه الحالة النيرفانا ( أي الانفجار ) . رابعاً : وأن طريق التخلص من الأنانية والشهوات هي ما يدعى ( الطريق ذو الثماني شعب ) وهذه الثماني شعب هي : النظر الصحيح ، التفكير الصحيح ، والكلام الصحيح والعمل الصحيح والمعيشة الصحيحة والجهد الصحيح والوعي الصحيح والتأمل الصحيح .

ويمكننا أن نضيف أن البوذية مفتوحة للجميع وأنها عكس الهندوسية لا تعترف بأي تمييز عرقي أو طبقي .

# (٥) كنفوشيوس
# CONFUCIUS
## ٥٥١ ق . م - ٤٧٩ ق . م

كان الفيلسوف الصيني العظيم كنفوشيوس مؤسس النظام العقلاني الذي يسيطر على الفكر العام للشعب الصيني . ذلك أن فلسفته مؤسسة على الأخلاقية الشخصية وعلى مفهوم حكومة تخدم الشعب وتسودها المثل الأخلاقية ، هذه الفلسفة نفذت إلى صميم الحياة الصينية والثقافة الصينية حوالي ألفي عام . وقد أثرت تأثيراً عظيماً على قسم كبير من سكان العالم .

ولد كنفوشيوس حوالي عام ٥٥١ ق . م في دولة ( لو ) الصغيرة التي هي الآن ولاية تابعة لشانتانج في شمال شرقي الصين . وقد توفي والده وهو صغير وعاش كنفوشيوس ووالدته فقراء ، ولما شب أصبح موظفاً حكومياً بسيطاً ولكنه استقال من وظيفته بعد زمن ، وبدأ في نشر تعاليمه لمدة ستة عشر عاماً بذلك جذب الكثير من التلاميذ لتعاليمه وعندما بلغ الخمسين من العمر كوفىء بتنصيبه في مركز عال لدى الحكومة في ( لو ) ولكن وبعد حوالي أربع سنوات في الخدمة بدأ اعداؤه في البلاط يتآمرون عليه مما سبب طرده من الوظيفة ونفيه من تلك الدولة وقد قضى الثلاثة عشر سنة التالية معلماً متجولاً ثم عاد إلى وطنه في السنين الخمس الأخيرة من حياته وتوفي عام ٤٧٩ ق. م .

يعتبر كنفوشيوس مؤسساً لدين ولكن هذا الوصف بعيد عن الدقة

فهو قلّما كان يشير بكثير أو قليل إلى الإله ورفض أن يناقش الحياة الآخرة وتجنب كل تأمل ميتافيزيائي ولهذا فهو يعتبر فيلسوفاً دنيوياً اهتم بالاخلاقية الشخصية والسياسية وبالسلوك .

ويعتبر كنفوشيوس الفضيلتين الهامتين هما ( جن ) و( لي ) والرجل المثالي يسيّر حياته طبقاً لهما . وقد ترجمت ( جن ) بالحب ولكن من الأفضل أن تعرّف بالاهتمام الحميم بإخواننا البشر وأما ( لي ) فهي تصف مجموعة من الأخلاق والطقوس والتقاليد والأتيكيت واللياقة والحشمة .

وقد أكد كنفوشيوس في تعاليمه على الولاء للعائلة واحترام الأبوين وأكد على ولاء الزوجة لزوجها والشعب لحكامه وكانت نظراته محافظة جداً فهو يعتقد أن العصر الذهبي كان في الماضي . وحث الحكام والشعب أن يعودوا إلى المقاييس الاخلاقية القديمة .

وفي زمن العائلة الصينية المالكة ( هان ) درج الاباطرة الصينيون على اختيار موظفي الدولة بطرح امتحان يعتمد الى حد كبير على معرفة تعاليم وآداب كنفوشيوس . ولكن انحدرت قيمة كنفوشيوس في الوقت الحاضر وذلك لأن الصين الشيوعية هاجمت كنفوشيوس وتعاليمه ومن المحتمل أن يكون نجم كنفوشيوس قد أخذ بالأفول بينما كانت تعاليمه عميقة الجذور في الماضي . وليس من المستغرب ان يظهر بعد خمسين أو مئة سنة من الآن فيلسوف صيني جديد يوحد بين تعاليم كنفوشيوس وماو تسي تونغ .

# (٦) القديس بولس
# ST . PAUL

## ٤ ب . م - ٤٦ ب . م

إن القديس بولس الذي كان معاصراً للسيد المسيح وأصغر منه سناً ، أصبح أعظم أنصار الدين المسيحي الجديد ، وكان نفوذه وتأثيره على اللاهوت المسيحي اعظم وأبقى أثراً من أي كاتب أو مفكر مسيحي آخر.

ولد بول أو ( سول ) في طرسوس وهي مدينة في كليكيا ومع أنه كان مواطناً رومانياً ، إلا أنه تثقف ثقافة يهودية في صغره وقد تعلم أيضاً صناعة الخيام .

وبعد وفاة المسيح اعتبر المسيحيون الأوائل كفرة وتعرضوا للتعذيب وقد شارك بولس في تعذيب هؤلاء المسيحيين ولكن وفي أثناء رحلة قام بها إلى دمشق رأى في نومه أن المسيح قد تكلم معه وبذلك تحوّل إلى الدين الجديد وقد كان هذا التحول نقطة انطلاق في حياته الخاصة ، فقد أصبح وهو الخصم للديانة المسيحية أحد أنصارها المتحمسين ومن ذوي التأثير العظيم عليها .

قضى بولس حياته يفكر ويكتب ويربح أنصاراً جدداً للديانة المسيحية وتجول في أثناء نشاطاته التبشيرية في آسيا الصغرى واليونان وفلسطين ولكنه لم يكن ناجحاً في تبشيره لليهود ، كما كان بعض الرواد

المسيحيين الأوائل ، فقد كان أسلوبه يثير أحياناً بعض النقمة مما عرض حياته للخطر في عدة مناسبات ولكنه في التبشير لغير اليهود كان ناجحاً بشكل ملاحظ ، ولهذا فهو يدعى رسول ( الكفار ) إذ لم يلعب أي رجل آخر غيره الدور الكبير الذي لعبه في نشر الديانة المسيحية .

وبعد ثلاث رحلات تبشيرية طويلة رجع إلى القدس حيث اعتقل هناك وأرسل إلى روما للمحاكمة ولا يعلم بالضبط كيف حدثت المحاكمة وكيف انتهت ( إذ من المحتمل أن تكون قد حدثت حوالي عام ٦٤ م ) إلا أنّه أعدم قرب روما .

ويتلخص تأثير بولس على تطور الديانة المسيحية بثلاث نقاط :

(١) نجاحه العظيم كمبشر .

(٢) كتاباته التي تؤلف قسماً كبيراً من العهد الجديد .

(٣) دوره في تطور علم اللاهوت المسيحي .

ومن السبعة والعشرين إصحاحاً في العهد الجديد هنالك ما لا يقل عن أربعة عشر إصحاحا تعزى إلى بولس ، وكانت فكرته بالنسبة للمسيح كما يلي :

إن المسيح لم يكن مجرد نبي ملهم بل كان فعلاً إلهياً وأن المسيح قد مات لأجل خطايانا ، ان آلامه تخلصنا وتفتدينا ، وإن الإنسان لا يمكن أن يحصل على الخلاص من الخطيئة بمجرد تمسكه بالأوامر الكهنوتية ، ولكن فقط بتقبل المسيح ، وكذلك بالعكس إذا تقبل أحد المسيح فإن خطاياه سوف تغفر له ، وقد خالف كثير من المسيحيين الأوائل بولس في عدة نقاط ولو انتصرت آراؤهم لكان من المشكوك به أن تنتشر المسيحية بتلك السرعة التي انتشرت بها في الامبراطورية الرومانية .

لم يتزوج القديس بولس ، وكانت وجهة نظره بالنسبة للجنس والنساء ، سبباً في ظهور مواقف خاصة فيما بعد . فقد قال : « إني أقول لأولئك الذين لم يتزوجوا وللأرامل أنه من الخير العميم لهم أن يعيشوا كما

عشت ، ولكن إذا لم يستطيعوا أن يطيقوا صبرا فليتزوجوا لأنه من الأفضل أن تتزوج على أن تحترق » .

وكان لبولس أفكار قوية وجريئة بالنسبة لوضع المرأة فهو يقول : « دعوا المرأة تتعلم بصمت وبخضوع ولكن لا أسمح لأي امرأة أن تعلم أو أن تغتصب السلطة من الرجل ولكن لتعمل بصمت لأن آدم هو الذي وجد أولاً ثم وجدت حواء» .

ويعتبر القديس بولس أنه المسؤول الأول عن تحويل الديانة المسيحية من فرقة يهودية إلى دين عالمي ، فقد تأثر به كثير من علماء اللاهوت المسيحي مثل أوغسطين واكونياس ولوثر وكلفن .



obeikandl.com

# (٧) تسايلون
# TS'AI LUN.
## عاش عام ١٠٥ م

تسايلون مخترع الورق ، اسم غير مألوف لكثير من القراء ونظراً لأهمية اختراعه ، ولما لاقاه من الاهمال في الغرب ، فإن من الواجب الالتفات باهتمام لهذه الشخصية المجنى عليها نظراً لأن كثيراً من دوائر المعارف والكتب التاريخية لم تكتب حتى ولو مقالة واحدة عن تسايلون ، فقد كان تسايلون موظفاً في البلاط الملكي الصيني ، قدم للامبراطور هوتي في عام ١٠٥م نماذج من الورق. وإن وصف التاريخ الصيني لاختراع تسايلون ( وهو يظهر في تاريخ أسرة ( هان ) الرسمية ) وصف ينبىء عن الصدق والاستقامة ، فهو لا يحتوي على أقل تلميح أو إشارة للسحر ، أو الخرافات . وقد عرف التاريخ الصيني تسايلون بأنه مخترع الورق .

ليس هنالك الكثير من المعلومات حول حياة تسايلون . فالسجلات الصينية تذكر أنه كان خصياً وتذكر أيضاً أن الامبراطور الصيني كان مسروراً جداً من اختراع تسايلون ، وكنتيجة لاختراعه فقد رقيت مرتبته وأعطي لقباً ارستقراطياً وأصبح نتيجة لذلك ثرياً ولكن فيما بعد تورط في مؤامرات ومكائد البلاط مما أدى إلى سقوطه ، وتذكر المصادر الصينية أنه عندما علم بنبأ خزيه وعاره استحم ثم لبس أفخر ثيابه وشرب السم .

انتشر استعمال الورق في الصين خلال القرن الثاني الميلادي وفي

خلال بضعة قرون تلت كان الصينيون يصدرون الورق إلى أجزاء أخرى من آسيا واحتفظوا بسر صناعة الورق ولكن في عام ٧٥١ أسر العرب بعض صناع الورق الصينيين ولم يمض وقت طويل حتى انتشرت صناعة الورق في سمرقند وبغداد ، وهكذا انتشرت صناعة الورق في جميع انحاء العالم العربي بالتدريج وفي القرن الثاني عشر تعلم الأوروبيون صناعة الورق من العرب فانتشر الورق هناك وبعد أن اخترع جوتنبرغ الطباعة الحديثة حل الورق مكان الرقوق كمادة رئيسية للكتابة في الغرب .

وفي هذه الأيام أصبح الورق شائعاً جداً حتى أنه من الصعب أن نتصور كيف يمكن أن يكون حال العالم بدونه .

وفي الصين وقبل تسايلون كانت معظم الكتب تصنع من الخيزران فهي ثقيلة جداً وغير مصقولة ولا متقنة الصنع . وبعض الكتب كانت على الحرير الغالي الثمن . أما في الغرب فاستعملوا الرق المصنوع من جلد الغنم أو جلد العجول وقد حلت هذه المادة محل البابيروس ( ورق البردي ) الذي كان مفضلاً لدى الرومان واليونان والمصريين . وكلا الرقوق والبابيروس لم تكن نادرة فحسب بل غالية التكاليف . وإن انتاج الكتب في هذه الأيام بكميات هائلة يرجع سببه الرئيسي لوجود الورق ، ومن الواضح أنه لم يكن للورق مثل هذه الأهمية لولا اختراع آلة الطباعة . وبالتالي فإن آلة الطباعة لم تكن لتحرز هذه الأهمية لولا وجود مادة رخيصة متوفرة يمكن الطباعة عليها مثل الورق .

ولهذا فإننا نعتبر أن تسايلون وجوتنبرغ ( مخترع الآلة الطابعة ) التي سنتكلم عنها في البحث القادم هما من الأشخاص ذوي القدح المعلى في هذا المضمار .

# (٨) جون جوتنبرغ
# JOHANN GOTENBERG

## ١٤٠٠ - ١٤٦٨ م

يلقب جون جوتنبرغ بمخترع الطباعة ولكن عمله في الحقيقة كان تطوير الطريقة البدائية في استخدام الأحرف المتحركة والآلة الطابعة بطريقة جعلت أنواعاً كثيرة من المادة المكتوبة سهلة الطباعة بسرعة ودقة .

من المعروف أنه ليس هنالك أي اختراع يظهر وهو مكتمل المزايا من عمل إنسان واحد . وهذا ينطبق على الطباعة . فقد كانت الأختام وخواتم التواقيع الكبيرة التي تعمل على نفس مبدأ الطباعة قد عرفت في الصين منذ عدة قرون قبل جوتنبرغ. وقد اكتشف كتاب مطبوع يرجع تاريخه الى حوالي عام ٨٦٨م . وعملية الطباعة كانت معروفة في الغرب قبل جوتنبرغ وأن الطباعة بواسطة الكتل الخشبية أو الحجرية جعلت من الممكن إخراج عدة نسخ من كتاب معين ولكن هذه العملية كان لها مساوئها ، إذ أنه طالما كان من الواجب عمل قطع خشبية أو ألواح حجرية لكل كتاب جديد ، ولذلك كانت هذه الطريقة غير عملية لانتاج أصناف كثيرة من الكتب المتنوعة .

ويقال أحياناً أن إسهام جوتنبرغ في هذا المضمار هو اختراعه الأحرف المتحركة ومع ذلك فنرى أن الأحرف المتحركة أيضاً قد اخترعت في الصين في حوالي منتصف القرن الثاني عشر على يد رجل يدعى باي

شنج وكانت الأحرف التي استعملها مصنوعة من الخزف الذي لم يكن متينا ولكن جرت تحسينات على هذه الطريقة على يد رجال صينيين وكوريين ، وقبل ظهور جوتنبرغ كان الكوريون يستعملون الأحرف المعدنية وقد وجد أن الحكومة الكورية كانت تدعم مؤسسة لانتاج أحرف الطباعة في أوائل القرن الخامس عشر وبالرغم من كل هذا فإنه من الخطأ أن نفكر أن باي شنج هو الذي كان المؤثر في هذا المضمار ، فالحقيقة أن أوربا لم تعلم شيئاً عن الأحرف المتحركة التي كانت مستعملة في الصين ولكنها طورتها بشكل مستقل . وفي المقام الثاني فإن الطباعة بواسطة الأحرف المتحركة لم تصبح شائعة الاستعمال بشكل عام في الصين نفسها حتى أزمنة متأخرة نسبياً عندما بدأت الطباعة الأوربية المتطورة تنتشر .

هنالك أربع عناصر هامة في عملية الطباعة أولها : الأحرف المتحركة ووضعها في مكانها ، ثانياً : الآلة الطابعة بنفسها ، ثالثاً : النوع المناسب من الحبر وإيجاد المادة المناسبة أي الورق الذي يطبع عليه .

وإن فضل جوتنبرغ على الطباعة هو أنه جمع كل العناصر الهامة السابقة ووضعها في نظام فعّال ذي مردود في الانتاج . فقد قدم للعالم طريقة الانتاج بالجملة التي هي إحدى السمات المميزة للحضارة العالمية الحديثة .

إن المعلومات عن حياة جوتنبرغ هي بالحقيقة ضئيلة ، فمن المعروف أنه ولد حوالي عام ١٤٠٠ م في مدينة مينز في المانيا وقد بدأ بالعمل في الطباعة في منتصف القرن الرابع عشر وأن افضل كتاب طبعه هو ما يسمى توراة جوتنبرغ . ولم يظهر عليه أنه رجل أعمال ناجح ، فهو لم يستطع أن يكسب مالاً كثيراً من اختراعه . فقد تورط في محاكمات قضائية انتهت إحداها بمصادرة آلة طباعته لمصلحة شريكه جوهان فاست ، وقد توفي جوتنبرغ عام ١٤٦٨ في مينز .